تأملات
على ضفاف آيات

تأليف

ماجد بن عبد الله الطريّف

المشرف على موقع تعليم متفوق

المدرس في المعهد العلمي في عنيزة

obeikan.com

obeikan.com

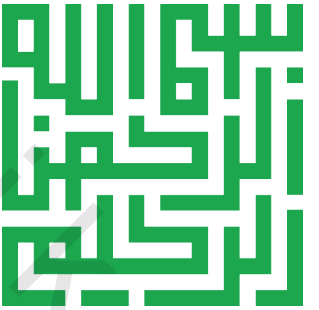

obeikan.com

obeikan.com

المقدمة

الحمد لله بما حمد به نفسه في كتابه، والصلاة والسلام على نبينا وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

فإن القرآن هو الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تفنى غرائبه. وهو مليء بالإشارات الدقيقة والمعاني العميقة التي لا تزال تنكشف في كل عصر من العصور، فكم من ذخائر مدخرة في القرآن المعجزة الباقية على مر الدهور.

وقد ملئت كتب التفسير وغيرها بكثير من الدقائق اللطيفة التي لا تبلغ إلا بالتدبر والتأمل، فالقرآن كالبحر الزاخر يرى الناظر إليه من الشاطئ شيئاً عظيماً فإذا غاص في أعماقه رأى ما لم يخطر بباله، وهذا من أسرار القرآن وعظمته ولأجل هذا قال الله سبحانه ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ ص:٢٩.

وفي هذا الكتيب سأحاول أن أقدم شيئاً من تلك الدقائق والإشارات، ولعله يتبعه – إن شاء الله– في المستقبل كتب أخرى فيها مزيد من التأملات.

والله المستعان.

obeikan.com

لن تحب في الله حتى تحب الله !
تأملات في قول الله تعالى
{والذين آمنوا أشد حباً لله} البقرة:١٦٥

كثيراً ما نسمع قول القائل : أحبتي في الله، أو قوله إخوتي في الله. أو نسمع قول القائل : محبكم في الله فلان.

والرسول ﷺ يقول «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله» ويقول ﷺ : «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان.. (وذكر منهن) أن تحب المرء لا تحبه إلا في الله».

ولكن حب العباد في الله لا يأتي إلا بعد أن يمتلئ القلب بحب الله ذاته سبحانه.

فالنفس الإنسانية مجبولة على أن تحب المبدأ ثم تحب كل ما يتعلق به، فالإنسان إذا أحب علماً من العلوم مثلاً أحب المنتسبين إليه، وإذا أحب قبيلته مثلاً أحب من ينتسب إليها.

وإذا أحب المرء حركة قومية أو ثورية أو علمية مثلاً أحب من يدعوا إليها، وهكذا في كل أمر إذا أحب المرء المبدأ أدى به إلى حب كل من ينتسب إليه، وإذا كان حبه للمبدأ غير صادق فلن يحب فيه ولن يبغض فيه.

ولهذا إذا كان الانتساب للدين ضعيفاً، والانتساب للقبيلة قوياً غلب حب القبيلة حب الدين، فأحب المرء أفراد قبيلته وتعصب لهم، ولو خالفوا أهل دينه وتلك العصبية هي الحالقة التي تحلق الدين كما ورد في الحديث.

ولا مجال لرسوخ محبة المرء لأهلِ دينه في الله إلا إذا أحب العبد الله حباً يقدمه على كل حب، حباً يؤنس وحشته ويملأ حياته.

والعبد يعرف قلبه فإذا ملأ حب الله جوانح فؤاده، وقدم حب الله على كل حب، فحينها سيجد نفسه منساقة إلى حب كل ما يرضي الله وإلى حب كل من يطيع الله، ولو كان من يطيع الله من أبعد الناس عنه.

وسيجد العبد إذا ملأ حب الله جوانح فؤاده أنه يبغض بشكل طبعي كل من يعصي الله ولو كان أقرب قريب، بل لو كانت نفسه.

فإن المؤمن ينفر من نفسه إذا عصت الله، وذلك أن المؤمن إذا ملأ حب الله جوانحه لا يحتمل أن يرى من يعصي ربه ولو كانت نفسه.

ولكن هذا الحب في الله والبغض في الله لا يأتي إلا بعد أن يحب العبد ربه حباً يقدمه على كل حب.

وما أكثر من يدعي هذا الحب، وما أقل من يصدق فيه، كما قال تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ (آل عمران:٣١) وما أعظم المنزلة أن تحب الله فيحبك الله.

ولكن حب العبد لله يحتاج إلى هذا المحك العظيم وهو الإتباع لرسول ﷺ طاعة لله وبعداً عن معصيته.

فامتحن نفسك إذا دعيت للطاعة كيف إقبالها؟ فإن أقبلت فتلك علامة حبها لله، وأنها لا تعدل بحبه سبحانه وتعالى شيئاً من الدنيا، وإن لم تقبل نفسك على الطاعة فتلك نفس لم تصدق في حبها لله، فأنى لها أن تظفر بحب الله لها.

وقد توعد الله سبحانه وتعالى من يعدل إلى حب شيء من الدنيا يقدمه على حب الله يقول تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ التوبة:٢٤

هذه أصناف متاع الدنيا وأصناف صوارفها، فويل لمن صرفته دنياه عن حب مولاه.

ومن أحب الله فلن يفوته متاع الدنيا و له في الآخرة النعيم، و رضوان الله العظيم، ورؤية وجهه الكريم.

ومن أحب شيئاً من هذه الدنيا، فقدمه على طاعة الله، فهو يتخذ لله نداً ولهذا يقول سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾.

بل يصل الأمر بالإنسان إلى تأليه هواه وجعله رباً من دون الله، يقول تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ الجاثية:٢٣

فما أشقى الإنسان إذا صار عبداً لهواه. وما أسعد عبداً أحب الله، فأحب في الله، فأحبه الله.

وتذكر أخي دائماً حين تقول أحبتي في الله أو إخوتي في الله، أنك لن تحب في الله حتى تحب الله حباً صادقاً، فحب العباد في الله فرع عن الأصل والشجرة العظيمة التي هي حب الله.

فإذا سقطت تلك الشجرة العظيمة التي هي حب الله سقط

الفــرع الذي هو حب العبــاد في الله، وإذا نمت تلك الشــجرة العظيمة التي هي حب الله تفــرع منها ولا بد أغصان محبة العباد في الله.

وأخيراً قال أحمد شوقي :

الحياة الحب، والحب الحياة وهــو من سرحتها سر النواة

(السرحة: هي الشجرة الكبيرة)

وحقاً كما قال الشــاعر، الحياة الحــب والحب الحياة، ولكن ليس ذلــك الحب أي حب، وإنما ذلكم الحب في الله، فإن حب الله هو الحياة.

وفي الختام نســأل الله العظيم حبــه، وحب من يحبه، وحب العمل الذي يقربنا إلى حبه، إنه جواد كريم.

الأمثال في القرآن

قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾ النحل:٨٩

ويقول وتعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ الفرقان:٣٣

ومعنى المثل هنا:ما يورده المشركون من الأسئلة و الشبهات والاقتراحات المعينة كطلبهم في الآية التي قبلها ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ سورة الفرقان :٣٢

فالقرآن يأتي بالجواب الحق الثابت الذي يبطل ما أتوا به من الأمثال ويدمغه وهو أحسن إيضاحا (انظر تفسير فتح القدير ٤/ ٧٣)

ومن الأشياء التي يحويها القرآن الكلمات الجامعة التي تقال على سبيل الحكمة السائرة في المناسبات المتنوعة ولهذا قال سفيان بن عيينة- رحمه الله- وهو ممن عرف بالبراعة في فهم القرآن وعلم التفسير قال: لا تأتونني بمثل من أمثال العرب مشهور إلا جئتكم بمثله من القرآن...

قالوا : فأين في القرآن قول العرب «أعط أخاك تمرة، فإن لم يرض فأعطه جمرة»؟ قال سفيان: أجده في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ الزخرف:٣٦

وهذا الخبر يظهر علم سفيان رحمه الله بالتفسير وحسن

الاستنباط، ويدل على أن القرآن فيه من كل مثل، ولكن لا يفطن لذلك إلا من أوتى فهم التنزيل وعلم التأويل.

وقد فكرت في نفسي لما قرأت خبر سفيان السالف فقالت لي نفسي: أين في القرآن هذا المثل «لا تضع البيض كله في سلة واحدة» وهو مثل صيني رائع، و نهج اقتصادي بارع، يدعوك ألا تجعل رأس مالك كله في سبيل واحدٍ فإذا ضاع المال من تلك الجهة ضاع مالك كله، ولكن نوّع سبله تأمن عليه.

فقلت لنفسي :إنما قال سفيان رحمه الله: لا تأتونني بمثلٍ مشهور من أمثال العرب، ولم يقل من أمثال الصين. ولكن سبحان من خلق البشر كلهم، عربهم و عجمهم، و أحاط بهم علما.و أما المثل فأجده في قوله تعالى على لسان نبيه يعقوب مخاطباً بنيه :

﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖ﴾ يوسف:٦٧

وفي تمام الآية زيادة رائعة تنبئ أن على المرء فعل السبب ولكن العبرة بحفظ الله ؛ فإنه ربما كسر البيض وقد فرق، و ربما حفظ وهو في سلة واحدة يقول الله تعالى على لسان نبيه يعقوب ـ عليه السلام ـ:﴿وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧ ﴾...يوسف: ٦٧

فهذا هو المثل و زيادة. و صدق سبحانه إذ يقول ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ ٨٩ ﴾ (النحل:٨٩)

وهذه دعوة لتأمل كتاب الله من خلال الأمثال، فالأمثال

خلاصة تجارب الشعوب وحكمها.. والله قد بين لنا في كتابه من علم كلِ شيء، فلو ربطنا بين الأمثال و آيات القرآن لكان ذلك تعويداً للأنفس على تدبر القرآن و استنباط العبر منه. والله سبحانه و تعالى يقول :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ محمد:٢٤

obeikan.com

تأملات في قوله تعالى ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾

قال تعالى ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ النحل: ٢٦

المتأمل في هذه الآية يتساءل: لماذا ذكر في الآية أن السقف خر عليهم من فوقهم؟ ومعلوم أن السقف إذا خر فمعنى ذلك أنه سقط من فوق، فإن السقف في أصل بنائه مرتفع ثم قد ذكر في الآية أنه خر أي سقط، والسقوط لا يكون إلا من أعلى إلى أسفل و من فوق إلى تحت، هذا كله معلوم بمجرد ذكر السقف وأنه خر فما الداعي إلى ذكر قوله تعالى في الآية ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾ ؟

أشار إلى جواب هذا بعضُ المفسرين وذكروا أن الحكمة من قوله تعالى في الآية: ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾ ليس مجرد ذكر أن السقف سقط من فوق ولكن التأكيد على أن سقف بنائهم الذي بنوه قد سقط عليهم وهم تحته وهذا أشد في العقوبة، فإن الله سبحانه لم يكتف بأن أتى بنيانهم من القواعد فأسقط سقف بنائهم، بل أسقطه عليهم وهم تحته.

وهكذا من أراد مكر السوء إذا شيد بنيان مكره لم تكن عقوبته أن يهدم بناؤه ويسقط سقفه وحسب، بل أن يسقط عليه وهو تحته فيكون فيه هلاكه فيجعل الله تدبيره تدميراً عليه.

وفي هذا بيان لحكمة الله في تدبيره، وبيان لبلاغة آياته سبحانه وتعالى.

تأملات دقيقة في آيات قصة موسى والخضر

يقول الله تعالى في سورة الكهف في سياق قصة موسى والخضر -عليهما السلام- على لسان الخضر : ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴿٧٩﴾﴾ الكهف:٧٩

ويقول في شأن الغلام : ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ إلى أن يقول ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ الكهف:٨١

ويقول في شأن الجدار واليتيمين: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ الكهف:٨٢

إن القارئ لهذه الآيات يلحظ التنويع في التعبير في الآيات الثلاث ففي الأولى ﴿فَأَرَدتُّ﴾ وفي الثانية ﴿فَأَرَدْنَآ﴾ وفي الثالثة ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾.

ولا شك أن لهذا سراً وحكمة فما الحكمة منه يا ترى؟

ذكر العلماء أن سبب التنويع هنا هو أن الأمر المراد في الآية الأولى هو :عيب السفينة وهو وإن كان في مآله خيرا إلا أنه في ظاهره شر مكروه ؛ولذا ناسب أن يتلطف الخضر فينسب إرادته إلى نفسه وهذا من التأدب مع الله سبحانه.

وأما في الآية الثالثة في شأن الجدار فالأمر المراد خير ظاهر وهو بلوغ الأشد واستخراج الكنز ولذا نسبه إلى الله جل جلاله.

وأما في الآية الثانية في شأن الغلام فالأمر المراد وهو إبدال

الغلام بخير منه يتضمن أمرين هما:

١-إهلاك الغلام الأول الكافر

٢- رزق الأبويــن الصالحين خيراً منه.فالأمر الأول في ظاهره شر مكروه وإن كان مآله للخير والأمر الثاني أمر خير ولأن الإبدال يتضمن الأمرين نسبت الإرادة للطرفين ــ لله وللخضر.....

وهذا التنزيه لله عن نسبة الشــر إليه أمر ملحوظ كما قال الله تعالى في سورة الجن على لسان الجن ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ (ســورة الجن:١٠) فنســبوا إرادة الرشــد إلى الله ونزهوه عن نسبة الشر إليه ــ ســبحانه وتعالى ــ فجعلوا الفعل في إرادة الشر للمجهول {أريد} مع أن الخير والشر من تقدير الله وإرادته الكونية.

هذا هو خلاصة توجيه بعض العلماء للسر في تنويع الأساليب بين الآيات الثلاث من سورة الكهف وهو توجيه حسن، إلا أنه قد يعترض عليه بأن في الآية الثانية في شأن الغلام إذا كان الفعل وهــو إرادة الإبــدال يتضمن أمرين : شــراً في ظاهره وخيراً فلا يناسب نسبته المشــتركة لله وللعبد {فأردنا} إذ في النسبة المشتركة إشعار بعدم تنزيه أي من الطرفين عن أي من الفعلين كما لو قلت مثلاً :إن محمداً وعلياً أرادا الســرقة والصدقة، فلو كان أحدهما أراد الســرقة والأخر أراد الصدقة فــإن الجمع في اللفظ هنا غير مستحسن فكذلك في الآية إن كان يراد التنزيه فلا يناسب النسبة المشتركة {فأردنا}.

ولعل توجيها آخر أحسن من التوجيه المتقدم وهو القول بأن السر في التنويع بين الآيات هو:أن الفعل المراد في الآية الأولى هو:

عيب السفينة وهذا في مقدور الخضر وفي استطاعته إنفاذ مشيئته، وهو المباشر للعمل ولذلك نسب الفعل لنفسه فقال { فأردت أن أعيبها}.

وأما في الآية الثانية في شأن الغلام فإن الإبدال يتضمن أمرين: أحدهما قتل الغلام وهو في مقدور الخضر، وأما الآخر وهو رزق الوالدين بولد خير منه فهذا لا قدرة للخضر عليه، ولما كان الإبدال يتضمن الأمرين جعلت الإرادة في الآية مشتركة فقال: {فأردنا}.

وأما الآية الثالثة في شأن الجدار فإن الأمر المراد هو بلوغ اليتيمين أشدهما، واستخراجهما كنزهما وهذا أمر الله سبحانه وفي قدرته وحده لا يملكه الخضر في المستقبل ولا يد له فيه، ولذا ناسب أن يخلص نسبة الإرادة لله سبحانه وتعالى فيقول {فأراد ربك} وهذا التوجيه عرض لي في الآيات، وقد وجدت من المفسرين من أشار إليه حيث أشار ابن كثير ــ رحمه الله ــ إلى هذا التوجيه إشارة فقال في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩٩) وقوله ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ هاهنا أسند الإرادة إلى الله تعالى لأن بلوغهما الحلم لايقدر عليه إلا الله، وقال في الغلام ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ وقال في السفينة ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾.والله أعلم.

والحمد لله رب العالمين

مثال من التناسب القرآني

قال الله سبحانه و تعالى﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ١١٩ ﴾ (سورة طه : ١١٨، ١١٩)

هذا ما خاطب به الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام حين أسكنه الجنة فقد تكفل الله لآدم بهذه الخصال الأربع فهو في الجنة آمن من الجوع والعري والظمأ والضحى (ومعنى قوله تضحى أي تصيبك شمس الضحى فتحس بالحرارة) وعند النظر في هذه الخصال فإن المدقق في النظر قد يتساءل: ما هو السر في الاقتران بين الجوع والعري وبين الظمأ والضحى؟ مع أن المتبادر هو اقتران الجوع بالظمأ والعري بالضحى، وإنما كان المتبادر اقتران الجوع بالظمأ لأنهما أمران باطنان، بينما العري والضحى أمران ظاهران.

ويجاب على هذا التساؤل بأن في اقتران الجوع بالعري والظمأ بالضحى معنى أدق وأنسب يقول ابن القيم رحمه الله في بدائع الفوائد ١/ ٢٤٠ : من له غوص في دقائق المعاني يتجاوز نظره قالب اللفظ إلى لب المعنى، والواقف مع الألفاظ مقصور على الزينة اللفظية فتأمل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ١١٩ ﴾ كيف قابل الجوع بالعري والظمأ بالضحى، والواقف مع القالب ربما يخيل إليه أن الجوع يقابل بالظمأ والعري بالضحى والداخل إلى بلد المعنى يرى هذا الكلام في أعلى الفصاحة والجلالة لأن

الجـوع ألم الباطن والعـرى ألم الظاهر فهما متناسـبان في المعنى وكذلـك الظمأ مـع الضحى لأن الظمأ موجب لحـرارة الباطن والضحى موجب لحرارة الظاهر ا. هـ

فابن القيـم رحمه الله يوضـح أن الجوع اقـترن بالعري لأن الجوع ألم الباطن والعري ألم الظاهر فكلاهما تجرد ولذلك ناسب الاقتران بينهما...

وأما الظمـأ والضحى فـإن الظمأ موجب لحـرارة الباطن، والضحى موجـب لحرارة الظاهر، فكلاهمـا موجبان للحرارة ولذلك ناسب الاقتران بينهما.

ويمكن الاستشهاد لهذا ببيت واحد واضح قريب المتناول وهو قول أبي الطيب المتنبي:

باد هواك صبرت أم لم تصبرا وبكاك إن لم يجر دمعك أو جرى

فقد انتقد المتنبي حين أنشـد هذا البيت بأنه خالف بين سـبك الشـطرين ففي الشـطر الأول ابتدأ بالإثبـات (صبرت) ثم ثني بالنفي (لم تصبرا) وفي الشـطر الثاني ابتدأ بالنفي (لم يجر دمعك) ثم أتى بالإثبات (جرى) فخالف بين الشـطرين بأن قدم الإثبات في الشطر الأول وقدم النفي في الشطر الثاني، وقد رد المتنبي هذا بأنه إن كان خالف بين الشطرين من حيث اللفظ فقد وفق بينهما مـن حيث المعنـى وذلك أن من صبر لم يجـر دمعه ومن لم يصبر جرى دمعه فقدم الصبر وعدم جريان الدمع لأنهما متناسبان من حيث المعنى الباطن وإن اختلفا مـن حيث الظاهر واللفظ إثباتاً ونفياً وكذلك الآية فإنه قد يظهر أن الجوع والعري غير متناسبين، والظمأ والضحى غير متناسـبين ولكن هـذا في الظاهر وأما في

الباطن فهما أشد تناسباً كما سلف توضيحه في كلام ابن القيم رحمه الله.

ويمكن أن نضيف هنا سبباً أخر للجمع بين الجوع والعري وبين الظمأ والضحى وهو أيضاً سبب في تقديم ذكر الجوع والعري وتأخير الظمأ والضحى : فالملاحظ في الآية أنها ابتدأت بذكر الجوع والعري ثم ذكرت الظمأ والضحى، وقد يكون السبب في هذا ــ والله أعلم ــ هو مزيد الاهتمام بهاتين الخصلتين لتعلق الجوع والعري بابتلاء آدم عليه السلام وذلك إن الله سبحانه وتعالى حين أسكن آدم الجنة ما نهاه عن شيء سوى الأكل من الشجرة ثم ذكر ما أنعم الله عليه في الجنة من عدم الجوع والعري والظمأ والضحى، فابتدأ بالجوع لأن آدم ابتلي بالشجرة فكونه لا يجوع في الجنة أدعى وأحث له على عدم الأكل من الشجرة لأنه في غنى عنها، فإن أكل منها فكونه لا يجوع أشد في التوبيخ له لأنه أكل منها مع أمنه من الحاجة. ثم إن معصية آدم بالأكل من الشجرة ستسبب له الخروج من الجنة والوقوع بالجوع، فهو بالأكل تسبب لنفسه بالجوع في الدنيا ولذلك ناسب أن تبتدئ الآية بذكر نعمة الله على آدم بعدم الجوع في الجنة.

وأما ذكر العري بعد ذلك مباشرة فلما فيه من التعلق بابتلاء آدم فإن هناك نوع اقتران بين الجوع والعري وذلك أن أكل آدم من الشجرة سبب له العري مباشرة، كما قال تعالى في تمام الآيات في سورة طه : ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ (طه: ١٢١) فهناك اقتران مباشر بين الأكل والعري ولذلك ناسب ذكر العري بعد الجوع في الآية وناسب أن يمتن الله على آدم بنعمة عدم العري

في الجنة لأن أكله من الشجرة سيسلبه هذه النعمة مباشرة.

وهذا التوجيه في تقديم الجوع والعري واقترانهما وتعلق ذلك بابتلاء آدم عليه السلام لم أجد من المفسرين من أشار إليه ولكن تمام الآيات في سورة طه يشعر به. ثم إنه يشهد له قوله تعالى في سورة الأعراف آية ٢٠ ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ فالشيطان إنما يوسوس لهما ليأكلا من الشجرة ولكن الآية تشير إلى العري في هذا السياق لأنه سيعقب الأكل من الشجرة مباشرة.

والله أعلم

تأملات في قوله تعالى { إذ قال لهم شعيب }

قال تعالى ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ الشعراء١٧٧

في هذه الآية استفسار، فعندما نتأمل سياق الآيات في سورة الشعراء نرى أنه عند ذكر الأمم الأخرى من قوم نوح مروراً بعاد وثمود وقوم لوط نرى التعبير بقول﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ ثم يذكر اسم النبي عليه السلام فمثلاً في قوم نوح قال تعالى ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ وهكذا في جميع الأمم التي ذكرت بعدهم، إلا في ذكر قوم شعيب فإنه لا يذكر كلمة أخوهم وهذا تغيير غريب يحتاج إلى نظر لمعرفة السر، لاسيما إذا علمنا أنه في سورة هود لم يحصل تغيير فذكر الأمم وأن رسولهم أخوهم ومنهم قوم شعيب فقال تعالى في سورة هود آية٨٤: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ فلماذا في سورة الشعراء وحدها عند ذكر قوم شعيب لم يذكر أنه أخوهم؟!

أجاب ابن كثير رحمه الله عن هذا الإشكال بجواب حسن فذكر في تفسيره عند هذا الموضع من سورة الشعراء أنه لم يقل هنا أخوهم شعيب لأنهم نسبوا إلى عباده الأيكة وهي شجرة كبيرة وقيل شجر ملتف كانوا يعبدونها فلهذا لما قال ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾﴾ لم يقل : إذ قال لهم أخوهم شعيب وإنما قال {إذ قال لهم شعيب} فقطع نسب الأخوة بينهم تنزيهاً لشعيب عليه السلام أن يشاركهم في النسبة إلى الشجرة التي عبدوها من

دون الله.

قــال ابن كثير رحمه الله «ومن النــاس من لم يفطن لهذه النكتة ــ أي المعنى الدقيــق ــ فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين فزعم أن شــعيباً بعثه الله إلى أمتين. ثم قال ابن كثير : والصحيح أنهم أمــه واحدة وصفوا في كل مقام بشــيء ولهذا وعظ هؤلاء وأمرهم بوفاء الكيل والميزان كما في قصة مدين سواء بسواء فدل ذلك على أنهما أمة واحدة».

والله أعلم

obeikan.com

تأملات في قوله تعالى ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ الزمر:٧٣

هذه الآية وردت في سورة الزمر في ذكر نعيم المتقين فإنهم إذا جاؤا إلى الجنة تفتح لهم أبوابها ولكن الملاحظ أنه في الآيات قبلها عند ذكر سوق الذين كفروا إلى النار أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ بدون واو.

فما السر في عدم ذكر الواو في حال أهل النار فقال: {فتحت أبوابها} بدون واو، وأما في سوق أهل الجنة فقال: {وفتحت أبوابها} بزيادة الواو؟

أجاب المفسرون عن هذا بأجوبة و الراجح أنه لم يذكر الواو في النار لأنها تفتح أبوابها مباشرة بمجرد وصول أهلها لها سرعة في عذابهم.

وأما في الجنة فزاد الواو لأن أبوابها لا تفتح مباشرة وإنما تفتح بعد شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولذلك فصل بالواو فقال {وفتحت أبوابها}.

هذا هو الراجح في زيادة الواو. ولكن من المفسرين من ذكر أقوالا أخرى فيها ضعف فمنهم من قال وهو قول ضعيف أن هذه واو الثمانية تذكر في القرآن عند الثمانية ولذلك قال تعالى في سورة الكهف ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ

سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ فذكرت الواو عند الثمانية فقط هكذا قال بعض المفسرين وهذا قول بعيد قال عنه ابن كثير رحمه الله : «ومن زعم أن الواو في قوله تعالى {وفتحت أبوابها} واو الثمانية واستدل به على أن أبواب الجنة ثمانية فقد أبعد النجعة وأغرق في النزع» (تفسير ابن كثير٤/ ٦٦)

إذا فلا أصل لواو الثمانية في القرآن.

وأما آية سورة الكهف فالراجح أنه زاد الواو في الثمانية لتأكيد هذا القول وللفصل بين الفتية وكلبهم فهم سبعة وثامنهم كلبهم بخلاف من قال: ثلاثة رابعهم كلبهم ومن قال :خمسة سادسهم فهو يخلط بين الفتية وكلبهم ولذلك بعد ذكر من قال ثلاثة رابعهم كلبهم ومن قال خمسة سادسهم قال تعالى: {رجما بالغيب} ولم يقل ذلك بعد سبعة و ثامنهم كلبهم فدل على أن هذا هو عددهم الصحيح ولذلك كان ابن عباس ترجمان القرآن رضي الله عنه إذا قرأ قوله تعالى في تتمة الآية {ما يعلمهم إلا قليل} قال: «أنا من القليل الذي استثنى الله عز وجل كانوا سبعة» (تفسير ابن كثير٢/ ٧٨)

وهذه الآيات تدل على دقة القرآن وبلاغته فمجرد زيادة حرف الواو حصل به هذه الإشارات الدقيقة إلى هذه المعاني فسبحان من أحصى حروف القرآن ومعانيه وأنزله هداية للعالمين.

الخاتمة: دعوة لتدبر القرآن الكريم

الأمثلة الواردة فيما سلف من الصفحات إشارات إلى ما في القرآن من كنوز عظيمة مدخرة، من تأمل وصل إلى شيء منها، وكلما أكثر المرء من التأمل فتحت له كنوز أكثر وكما قال الشاعر:

وكم من عائب قولا صحيحا ... وآفته من الفهم السقيم

ولكن تأخذ الأفهام منه ... على قدر القرائح والعلوم

وقد زخرت كتب التفسير وعلوم القرآن بكثير من النفائس المسطورة ولكن يبقى المزيد فهذا كتاب الله الذي لا تفنى عجائبه وهو خاتم الكتب المنزلة المهيمن على ما قبله من الكتب قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ المائدة :٤٨

قال الشاعر:

الله أكبر إن دين محمد ... وكتابه أهدى وأقوم قيلا

لا تذكر الكتب السوالف عنده ... طلع الصباح فأطفئ القنديلا

والقرآن هو الآية الباقية للنبي ﷺ على مر الأزمان ورد في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلاَّ أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

ولهذا حفظ الله وحيه المنزل وكتابه الخاتم وجعل الهداية لمن

تأمل فيه.

ختاماً: قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ محمد: ٢٤

جعــل الله القرآن العظيم ربيع قلوبنــا، وحجة لنا يوم لقاء ربنا

والحمد لله رب العالمين

obeikan.com

المحتويات

المقدمة ٥

لن تحب في الله حتى تحب الله! تأملات في قول الله تعالى ﴿والذين آمنوا أشد حباً لله﴾ ٧

الأَمْثَال في القرآن ١١

تأملات في قوله تعالى ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾ ١٤

تأملات دقيقة في آيات قصة موسى والخضر ١٥

مثال من التناسب القرآني ١٨

تأملات في قوله تعالى ﴿إذ قال لهم شعيب﴾ ٢٢

تأملات في قوله تعالى ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ ٢٤

الخاتمة: دعوة لتدبر القرآن الكريم ٢٦

obeikan.com